

دمعة على النيل

من وقت لآخر

وخاصة في الأعياد وشم المنسيم

كنت أذهب مع أبى وأمى إلى شط النيل

وهناك .. نختار مكانا معشبا لنجلس فوقه

وبعد فترة ..

تقدم أمى لنا الطعام الذى أعدته

وبعض الحلوى

كنت أستمع كثيرا بتلك الجلسة

التي نتحدث فيها ، وذأكل ،

ونحن ننظر إلى امتداد مياه النيل

التي كانت تتلون مرة بالزرقة ،

وأخرى بالخضرة ،

وأحيانا تكون بنية بلون الطمي

لكنها في كل الأحوال

كانت تبعث في روجي

وانا بين أمي وأبي

سعادة لا حدود لها !

**

مرت الأعوام

وكما يقولون :

لا يبقى شء على حاله

ماتت أمى

وبعدها بعام واحد

مات أبى

ووجدتني أذهب الى نفس المكان

هناك على شط النيل

ولما أغادره

حتى تذرِف عيناى بعض الدموع

عندها أحس ان بعض الألم قد خف

وأن لوعة المراقى .. قليلا قد تراجعت

**

ثم مرت أعوام كثيرة

أبعدتني عن عالم الطفولة الرهيف

لكنني لم أتخلف أبدا

عن عادة جلوسي على النيل

المفارق الوحيد ..

أنني أصبحت أجلس في أرقى الكافتيريات

ومن هنا أراقب البواخر السياحية

التي تنساب على صفحته الملساء

وحين يحل المساء

أستمع برؤية الأضواء

المتدلئة على الضفة الأخرى

ولمعان أضوائها على مرآته السوداء ..

**

وعلى الرغم من قراءتى حول منابع النيل

وحقائق التضاريس الجغرافية ،

والتي تؤكد أنه يأتى من تجمع الأمطار

المتساقطة بغزارة على هضبة الحبشة

ثم يمر بالسودان

فإن كلمة أبى الحبيب

ما زالت تتردد فى أعماقى :

النيل ينبع من الجنة

وقد وهبه الله لأرض مصر الطيبة

**

و ذات صباح حزين

كنت أمر على بائع الجرائد

فوجدت عناوينها الحمراء

تتحدث كلها عن سد ضخم

تقيمه الحبشة على أرضها

لتستفيد منه في إنتاج الكهرباء

وهذا يعنى ..

أن جزءا كبيرا من مياه النيل

سوف تنقطع عن المجيء إلى مصر

وعلى الفور

اغرورقت عيناي بالدموع

وسقطت منها دمتان ساخناتان

إحداهما على أبي وأمي ،

والثانية على النيل !
